

آيات نداء نبي الله نوح قومه /دراسة تحليلية

د. بشار شعلان عمر سعد فرمان محمود

ملخص البحث

تتاول هذا البحث آيات نداء نبي الله نوح قومه بطريقة الدراسة التحليلية ، واقتصرت الدراسة على حرف النداء (يا) ، وموضوع هذا البحث له أهمية كبيرة كونه يدرس جانب من الجوانب التي يتناولها القرآن الكريم ، وقد تضمن البحث مقدمة وخمسة مباحث ، أما المقدمة فقد تضمنت: أهمية الموضوع ، و سبب اختيار الموضوع، ومنهجية الدراسة ، وتقسيم الدراسة ، وأما المباحث فقد تضمن المبحث الأول : نداء نبي الله نوح عليه السلام قومه لعبادة الله وحده ، والمبحث الثاني تضمن: نداء نبي الله نوح عليه السلام قومه لنفي الضلالة عن نفسه ، والمبحث الثالث تضمن : نداء نبي الله نوح عليه السلام قومه لبيان توكله على الله تعالى وتحديه لقومه ، والمبحث الرابع تضمن : نداء نبي الله نوح عليه السلام قومه لبيان إخلاصه في دعوته لله تعالى ، والمبحث الخامس تضمن: نداء نبي الله نوح عليه السلام ابنه ليركب في السفينة ولا يكن مع الكافرين ، ثم ختم البحث بأهم النتائج والتوصيات التي توصل لها الباحث ، أما النتائج فقد أظهرت اشتغال آيات نداء نبي الله نوح قومه على ترسيخ العقيدة في نفوس العباد ، وأظهرت مدى إخلاص الأنبياء (عليهم السلام) في الدعوة إلى الله تعالى ، وحرصهم على هداية أقوامهم ، كما أظهرت حسن أخلاق الأنبياء ، وأدبهم في دعوة أقوامهم ، وصبرهم في تحمل الأذى ، وأما التوصيات فقد أكدت على التخلق بأخلاق الأنبياء (عليهم السلام) ، وعلى وجوب الإخلاص في طلب العلم والتعليم ، وبمزيد العناية بالمواضيع التي تتعلق بالقرآن الكريم وربط ذلك بالواقع المعاصر مما يسهم في حل المشاكل التي يعاني منها المجتمع الإسلامي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي فطر الكون وأبدعه ، وخلق الإنسان وعدله ، وشرع الدين وأحكمه ، وأنزل القرآن وفصله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فإن القرآن الكريم هو معجزة الرسول الأكرم محمد ﷺ الخالدة ، والرسالة الباقية للبشر ، إذ احتوى على الأسرار الإلهية ، والإشارات الربانية ، وفيه صلاح العباد والبلاد ؛ لذا عكف العلماء على خدمته ببيان علومه وتفسيره ، وكل علم يتعلق بالقرآن الكريم فإنه يعد من أجل العلوم ، وأشرفها قدراً ، وأعلاها منزلة ، وهذا ما دفعني لكتابة هذا البحث الموسوم بـ : (آيات نداء نبي الله نوح قومه/ دراسة تحليلية) ، إذ اقتصر النداء على الحرف (يا) ، وقد كان سبب اختياري لهذا الموضوع هو خدمة كتاب الله تعالى ، وطلب الأجر والثواب ، وابتغاء مرضاة الله تعالى من خلال التفكير والتدبر في آيات القرآن الكريم ، وهذا الموضوع له أهمية كبيرة ، إذ تُستمد أهميته من مادته الأساسية وهي القرآن الكريم ، فأفضل ما يتنافس فيه المتنافسون ، ويتسابق إليه المتسابقون ، ويهتم به الدارسون ، ويعنى به الباحثون ، أن يكون لموضوع الدراسة علاقة بدراسة جانب من الجوانب التي يتناولها القرآن الكريم هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن أهمية أي نداء يتعلق بالمنادي ، والمنادي في هذا البحث هو نبي الله نوح ﷺ، فهو من أولي العزم من الرسل ، ونداء نبي الله نوح ﷺ يعالج قضايا وأموراً كثيرة سواء كانت في مباحث العقيدة أو العبادة أو الأخلاق ، فهذه الآيات مدرسة تربوية متكاملة تتضمن أموراً مختلفة ، وقضايا متنوعة تسهم في حل كثير من المشكلات التي تعاني منها أمتنا اليوم.

أما منهج البحث فقد تضمن ما يأتي:

١. تقسيم آيات نداء نبي الله نوح إلى خمسة مباحث.
٢. عزو الآيات إلى سورها وترقيم كل آية بحسب ترتيبها في السورة .
٣. عزو الأحاديث إلى مصادرها، وبيان حكمها باستثناء ما ورد في الصحيحين (البخاري ومسلم) إذ أكتفي بتخريج الأحاديث فقط .
٤. ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في البحث .

٥. ذكر مناسبة الآية لما قبلها .
٦. بيان معاني المفردات .
٧. بيان القراءات القرآنية .
٨. بيان البلاغة .
٩. ذكر المعنى العام للآيات .
١٠. تحليل المواضيع التي اشتملت عليها آية النداء .

وقد قسم البحث إلى خمسة مباحث على النحو الآتي :

- المبحث الأول : نداء نبي الله نوح عليه السلام قومه لعبادة الله وحده .
- المبحث الثاني : نداء نبي الله نوح عليه السلام قومه لنفي الضلالة عن نفسه .
- المبحث الثالث : نداء نبي الله نوح عليه السلام قومه لبيان توكله على الله تعالى وتحديه لقومه .
- المبحث الرابع : نداء نبي الله نوح عليه السلام قومه لبيان إخلاصه في دعوته لله تعالى .
- المبحث الخامس : نداء نبي الله نوح عليه السلام ابنه ليركب في السفينة ولا يكن مع الكافرين .

ثم ختم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة .

المبحث الأول

نداء نبي الله نوح عليه السلام قومه لعبادة الله وحده

نادى نوح عليه السلام قومه لتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة ، وقد ذكر الله تعالى ذلك بقوله : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَادُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١) .

مناسبة الآية لما قبلها :

لَمَّا بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ مَبْدَأَ الْخَلْقِ الْإِنْسَانِي وَهُوَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَصَّ مِنْ أَخْبَارِهِ مَا قَصَّ ، وَاسْتَطَرَدَ فِي ذَلِكَ إِلَى ذِكْرِ الْمَعَادِ ، وَمَصِيرِ أَهْلِ السَّعَادَةِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ إِلَى النَّارِ ، وَأَمَرَهُ تَعَالَى بِتَرْكِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ، وَلَمَّا بُعِثَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَلَمْ يَسْتَحْيِبِ الْقَوْمَ لَهُ ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِمَا جَاءَ بِهِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ، قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَحْوَالَ الرُّسُلِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ ، وَأَحْوَالَ مَنْ بَعَثُوا إِلَيْهِمْ عَلَى سَبِيلِ التَّسْلِيَةِ لَهُ ﷺ^(٢) .

معاني المفردات :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ : جواب قسم محذوف تقديره والله لقد أرسلنا نوحاً ومعنى (أَرْسَلْنَا) بعثنا^(٣) .

﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ : العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع ، يقال طريق معبد إذا كان مزدلاً بكثرة الوطء^(٤) .

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ : أي: "إن لم تعبدوه فإنني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة، أو عذاب يوم الطوفان"^(٥) .

القراءات القرآنية :

تضمنت الآية الكريمة قراءات مختلفة وذلك في قوله تعالى : ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ : قرأ أبو جعفر^(٦) والكسائي^(٧) بخفض الراء وكسر الهاء بعدها ، وقرأ الباقر برفع الراء وضم الهاء ، فالرفع على المحل ، كأنه قيل: ما لكم إله غيره ، والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء ، بمعنى: ما لكم من إله إلا إياه، كقول: ما في الدار من أحد إلا زيد أو غير زيد ، فإن قيل: فما

موقع الجملتين بعد قوله اعْبُدُوا اللَّهَ؟ الجواب: الأولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة ، والثانية : بيان للداعي إلى عبادته ؛ لأنه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله ^(٨) .

بيان البلاغة :

التحبيب والترقيق في نداء نوح عليه السلام قومه : ﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ فنوح عليه السلام خاطب قومه جميعاً ؛ لأنّ الدّعوة لا تكون إلّا عامة ، وعبر في نداءهم بوصف القوم لتذكيرهم بأصرة القرابة التي تربطه بهم استعطافاً ، واستمالة لقلوبهم ، ولتحققوا أنّه ناصح لهم ، ومريد خيرهم ومشفق عليهم وأضاف (القوم) إلى ضميره للتحبيب والترقيق لاستجلاب اهتدائهم ^(٩) .

المعنى العام للآية :

أرسل الله تعالى نوحاً إلى قومه منذراً لهم بأسه، ومخوِّفهم سخطه، على عبادتهم غيره ، فدعا نوح عليه السلام من كفر منهم إلى عبادة الله تعالى وحده، إذ ليس لهم إله غيره يتوجهون إليه فالله عز وجل هو الخالق لكل شيء ، ويبيده ملكوت كل شيء، وهو الإله الحق الذي يجب أن تتوجه إليه القلوب بالدعاء ، وهو الذي يُقصد وحده في العبادات كلها ، ويحذرهم من عذاب يوم شديد إذا لم يمتثلوا ما يدعوهم إليه ^(١٠) .

التحليل :

إن المتدبر في هذه الآية الكريمة يجد أنها اشتملت على ركائز أساسية في هذا الدين وأهمها عبادة الله ، وتوحيده ، قال تعالى : ﴿ فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ، فإن نداء نوح عليه السلام لقومه في هذه الآية متضمن أمراً ونهياً ، فأما الأمر : فقد أمرهم بعبادة الله وحده ، وأما النهي : فقد نفى أن يكون لهم إله يعبد بحق غير الله تعالى ، أي أنه لا إله معبود بحق إلا الله تعالى ، لأن الخطأ العظيم الذي وقع فيه المشركون هو أنهم كانوا يقرون بربوبية الله عز وجل ، وفي ذلك قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴾ ^(١١) ، ولكنهم يشركون بعبادته آلهة أخرى ، قال تعالى في صنيعهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ^(١٢) وقال تعالى في حكاية حال المشركين : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ ^(١٣) ، فالعبادة إذا لم تكن خالصة لوجه الله وحده فإنها لا تقبل قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(١٤) .

فالأمر بعبادة الله وحده يستدعي سابقاً له ، وهو الإيمان بالله وحده رباً وخالقاً بيده كل شيء ، وهو على كل شيء قدير ، فإذا كان القوم مؤمنين به كذلك فالمطلوب منهم أن يعبدوا الله وحده ، ولا يشركوا بعبادته شيئاً ، وهذه العبادة تشمل كل صنوف الطاعة لله عز وجل^(١٥) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : وكان أول ما عبدت الأصنام ، أن قوما صالحين ماتوا ، فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صور أولئك فيها ، ليتذكروا حالهم وعبادتهم ، فيتشبهوا بهم فلما طال الزمان ، جعلوا تلك الصور أجساداً على تلك الصور ، فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين ، فلما تفاقم الأمر بعث الله ، سبحانه وتعالى رسوله نوحاً عليه السلام يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، فقال : ﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي : من عذاب يوم القيامة إن لقيتم الله وأنتم مشركون به ^(١٦) .

فالعبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال ، والأعمال الباطنة ، والظاهرة ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان للجار واليتيم والمسكين ، حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضاء بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك من العبادة ^(١٧) ، فرسالة التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له هي رسالة جميع الأنبياء والرسل (عليهم السلام) ، قال قتادة^(١٨) : أرسل الله المرسلين بأن يعبد الله وحده ، وأن تتقى محارمه ، وأن يُطاع أمره ^(١٩) ، " والعبادة تجمع أصليين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والعرب تقول : طريق معبد أي مذل ، والتعبد : التذل والخضوع ، فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له ، لم تكن عابداً له ، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابداً له حتى تكون محباً خاضعاً " ^(٢٠) ولعبادة الله وتوحيده ثمار كثيرة منها :

١. إن عبادة الله وتوحيده نجاة للعبد من عذاب الله تعالى يوم القيامة ، فقد جاء في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حقهم عليه؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : أن لا يعذبهم) ^(٢١) .

٢. ومن ثمراته إذا كمل توحيد العبد فإن الله يمنعه من دخول النار ، كما جاء في حديث عتب بن مالك^(٢٢) : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (فإن الله قد حرم على النار من قال : لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله) ^(٢٣) .

٣. ومن ثمرات التوحيد أنه من أعظم الأسباب لتكفير الذنوب والسيئات ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تبارك وتعالى : (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني

غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) (٢٤) .

ولذلك كانت عبادة الله وحده منهجاً للحياة، يشمل تصور الإنسان لحقيقة الألوهية ، وحقيقة العبودية ، ولحقيقة الصلة بين الخلق والخالق، ولحقيقة القوى والقيم في الكون وفي حياة الناس ، ومن ثم ينبثق نظام للحياة البشرية قائم على ذلك التصور، فيقوم منهج للحياة خاص، منهج رباني مرجعه إلى حقيقة الصلة بين العبودية والألوهية، وإلى القيم التي يقررها الله للأحياء والأشياء ، وتقوى الله هي الضمانة الحقيقية لاستقامة الناس على ذلك المنهج ، بلا رياء ولا تظاهر ولا ممارسة ، وطاعة الرسول هي الوسيلة للاستقامة على الطريق ، فهذه الخطوط العريضة التي دعا إليها نوح قومه في فجر البشرية ، هي خلاصة دعوة الله في كل جيل بعده (٢٥) .

المبحث الثاني

نداء نبي الله نوح عليه السلام قومه لنفي الضلالة عن نفسه

ينفي نوح عليه السلام الضلالة عن نفسه ، ويبين لقومه بأنه مرسل من الله تعالى إليهم ، قال تعالى : ﴿ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٦) .
مناسبة الآية لما قبلها :

لما وصفوا نوحاً عليه السلام بالضلال في الآية التي قبلها في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمَّا مِّن قَوْمِهِۦ ۚ إِنَّكَ لَنَزَلْنَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢٧) ، ردَّ على فريتهم ، ونفى الضلال المطلق الذي هو الأعم، وبنفيه ينتفي كل أخصيائه ، بل ينتفي أقل شيء من الضلال (٢٨) .

معاني المفردات :

﴿ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ﴾ : أي ليس بي شيء من الضلالة ، الضَّلَالُ والضَّلَالَةُ : ضد الهدى والرشاد، والضلال والضلالة : العدول عن طريق الحق، والذهاب عنه (٢٩) .
﴿ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : " رب كل شيء ومليكه " (٣٠) .
بيان البلاغة :

في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ مجاز مرسل^(٣١) ، فقد جعل الضلال ظرفاً ، والضلال ليس ظرفاً يحل فيه الإنسان ، لأنه معنى من المعاني وإنما يحل في مكانه فاستعمل الضلال في مكانه مجازاً مرسلأ أطلق فيه الحال وأريد المحل ، فعلاقته الحالية وفائدته المبالغة في وصفه بالضلال وإيغاله فيه ، حتى كأنه مستقر في ظلماته لا يتزحزح عنها^(٣٢).

المعنى العام للآية :

توضح الآية الكريمة أن نوحاً عليه السلام أجاب قومه بسبب إعراضهم عن الحق ، ووصفهم له بالضلال: يا قوم، لم آمركم بما أمرتكم به من إخلاص التوحيد لله، وإفراده بالطاعة دون الأنداد والآلهة، زوالاً مني عن محبة الحق، وضلالاً لسبيل الصواب، وما بي ما تظنون من الضلال، ولكني رسول إليكم من رب العالمين بما أمرتكم به: من إفراده بالطاعة، والإقرار له بالوحدانية، والبراءة من الأنداد والآلهة^(٣٣) .

التحليل :

اشتملت هذه الآية الكريمة على إجابة نبي الله نوح عليه السلام قومه ، مقابل رفضهم لدعوته ، ومواجهته بالشتيمة ، وقذفهم له بأنه في ضلال مبين، ومع ذلك لم يرد الشتيمة بل ناداهم (يا قوم) بالرابطة التي تربطه معهم ، حيث نسبهم إليه تودداً وتحبباً وحرصاً وخوفاً عليهم من عذاب يوم عظيم ، وهذا هو أدب الأنبياء (عليهم السلام) في دعوتهم لأقوامهم ، فهذا سيد المرسلين محمد ﷺ يحزن حزناً شديداً على قومه لإعراضهم عن الإيمان بالله عز وجل قال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾^(٣٤) ، وقد فرح النبي ﷺ لدخول غلام يهودي الإسلام وقال : الحمد لله الذي أنقذه من النار ، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له: أسلم ، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار^(٣٥) ، ومن خلال ذلك يتضح لنا أن الأنبياء (عليهم السلام) في ندائهم لأقوامهم كيف أنهم يقابلون الإساءة بالإحسان ، ثم نجد أن نوح عليه السلام بعد أن ناداهم (يا قوم) أخذ ينفي الضلالة عن نفسه فقال: ﴿ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ﴾ وهذا الرد من نوح عليه السلام من

أحسن الرد وأبلغه لأنه نفى أن تلتبس به ضلالة واحدة فضلاً عن أن يحيط به الضلال كله، ولو قال لست ضالاً لم يؤد هذا المؤدى ، إذ بالغ لهم في النفي كما بالغوا له في الإثبات، وبعد أن نفى الضلالة عن نفسه أثبت لهم أنه رسول من رب العالمين ، قال تعالى: ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، فقله: ﴿ وَلَكِنِّي ﴾ جاءت (لكن) هنا أحسن مجيء لأنها بين نقيضين، لأن الإنسان لا يخلو من أحد شيئين: ضلال أو هدى، والرسالة لا تجتمع مع الضلال أي: لست في ضلال كما اعتقدتم، ولكني في غاية من الهدى ، لأنني رسول من رب العالمين، أي مبعوث من عنده ، مكلف بتبليغ رسالته ، وهدايته عليه عليه السلام من جنس هداية إخوانه، من أولي العزم من الرسل، وهي أعلى أنواع الهدايات وأكملها وأتمها، وهي هداية الرسالة التامة الكاملة، ولهذا قال: ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، أي: رسول من ربي وربكم ، الذي ربي جميع الخلق بأنواع التربية، والذي من أعظم تربيته أن أرسل إلى عباده رسلاً تأمرهم بالأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، والعقائد الحسنة ، وتنهاهم عن أضدادها^(٣٦).

المبحث الثالث

نداء نبي الله نوح عليه السلام قومه لبيان توكله على الله تعالى وتحديه لقومه

نادى نوح عليه السلام قومه ليبين لهم توكله على الله تعالى إن شق عليهم نصحه وتذكيره لهم ، ولذلك فليجمع القوم أنصارهم ، وليقوموا بالعمل الذي يدبرونه مجتمعين ولا يمهلونه ، وقد ذكر الله تعالى ذلك بقوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾^(٣٧) .

مناسبة الآية لما قبلها :

لما ذكر الله سبحانه وتعالى أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد ، ذكر بعد ذلك قصص الأنبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله ﷺ أسوة بمن سلف من

الأنبياء وتسليية له ليخف عليه ما يلقي من أذى قومه ، وأن الكفار من قومه إذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الأمم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعياً لهم إلى الإيمان ، ولما كان قوم نوح أول الأمم هلاكاً وأعظمهم كفراً وجحوداً ذكر الله قصتهم هنا كموعظة وعبرة لكفار قریش^(٣٨) .

معاني المفردات :

﴿ نَبَأُ نُوحٍ ﴾ أي: خبره مع قومه الذين كذبوه ، ومعنى النَّبَأُ: الخبر^(٣٩) .
 ﴿ كَبُرَ عَلَيْكُمْ ﴾ عظم وشق، وكَبُرَ بالضم يَكْبُرُ، أي عَظُمَ، فهو كَبِير وكُبَار^(٤٠).
 ﴿ غُمَّةٌ ﴾ أي: خفياً فيه شيء من الحيرة واللبس ، وأمر غُمَّة: مبهم ملتبس ، وإنه لفي غُمَّة من أمره: أي في حيرة ولبس وشبهة^(٤١) .

القراءات القرآنية :

١. قرأ رويس^(٤٢) ﴿ فَأَجْمَعُوا ﴾ بوصل الهمزة وفتح الميم (فاجمعوا)، والباقون بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الميم، وقراءة رويس من فعل (جمع يجمع) ، وقرأها باقي القراء العشرة ﴿ فَأَجْمَعُوا ﴾ من فعل (أجمع يجمع) ، ومؤدى القراءتين واحد ، يقال لغةً : (جمع فلان أمره) أي : جمع المتفرق منه وضمَّ بعضه إلى بعض وعزم عليه ، ويقال (جمع القوم لأعدائهم) أي : حشدوا مقاتليهم وقواهم لقتال أعدائهم ، ويقال: (أجمعوا أمركم) أي : قوموا بعملكم مجتمعين غير متفرقين ، فالمعنى من القراءتين : اجمعوا المتفرق من أمركم واحشدوا ما شئتم ، وقوموا بعملكم ضدي مجتمعين غير متفرقين^(٤٣) .

٢. قرأ يعقوب^(٤٤) ﴿ وَشُرَكَاءُكُمْ ﴾ برفع همزته، والباقون بنصبها ، وقراءة يعقوب عطفاً على ضمير فأجمعوا، وسوغه الفصل بين الضمير وما عطف عليه بالمفعول ، والمعنى وليجمع شركاؤكم أمرهم ، أما فتح الهمزة في (شركاءكم) على أنه مفعول معه ، والواو بمعنى (مع) أي أجمعوا أمركم ومعكم شركاؤكم الذين تستتصرون بهم^(٤٥) .

بيان البلاغة :

١. الكناية الإيمائية^(٤٦) في قوله تعالى : ﴿ يَتَقَوَّمُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي ﴾ أي نفسي، على أنه في الأصل اسم مكان وأريد منه النفس بطريق الكناية الإيمائية كما يقال: المجلس السامي ،

وكذلك الاستعارة المكنية ^(٤٧) : في قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ أي أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون ولا تمهلوني، على أن القضاء من قضى دينه إذا أداه ^(٤٨).

٢. ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ : "تقديم ما حقه التأخير لإفاده الحصر أي على الله لا على غيره، وكذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ عبّر عن الالتباس والستر بالغمة بطريق الاستعارة أي لا يكن أمركم مغطى تغطية حيرة ومبهماً فيكون كالغمة العمياء" ^(٤٩).

المعنى العام للآية :

أي واتل يا محمد ﷺ على مسامع هؤلاء المشركين ، نبأ نوح عليه السلام مع قومه المغترين بأموالهم وكثرتهم ليتدبروا ما في هذا النبأ من عظات وعبر، فإن نوحاً عليه السلام قد قال لقومه : يا قوم إن كان قد شق عليكم مقامي فيكم ، وتذكيري بآيات الله الدالة على وحدانيته فإني توكلت على الله ، فأجمعوا ما تريدون جمعه من مكر وكيد بي ، ثم ادعوا شركاءكم ليساعدوكم في ذلك فإني ماض في طريقي الذي أمرني الله به ، بدون مبالاة بمركمكم ، وبدون اهتمام بكيدكم ^(٥٠) .

التحليل :

إن هذه الآية الكريمة من أبلغ آيات القرآن عبارة، وأجمعها على إيجازها للمعاني الكثيرة من علم النفس، ودرجة إيمان الأنبياء المرسلين وثقتهم بالله عز وجل، وشجاعتهم واحتقارهم لكل ما في الحياة الدنيا من أسباب الخوف من غيره ، والرجاء فيما سواه ، فإن الله تعالى يبين أن مثل حال الرسول محمد ﷺ ومقامه مع قومه كمثل نوح عليه السلام مع قومه ، في غرور كل قوم منهم بكثرتهم وقوتهم وتكذيبهم واحتقارهم لرسوله ، ولمن آمن معه من الضعفاء والفقراء، ولما يعتز به كل من الرسولين من التوكل على الله والاعتماد عليه في النصر والعزة وحسن العاقبة ، والجزم بإهلاك المصرين على تكذيبه ، ونجاة المؤمنين المتبعين له ، وذلك بجعلهم خلائف الأرض وأصحاب السلطان فيها ^(٥١) .

وقد تكرر نداء نوح عليه السلام لقومه في هذه السورة ومن قبل هذه السورة في سورة الأعراف ^(٥٢) وهذا التكرار فيه فائدة : وهي أن كل مكان ترد فيه قصة نوح وندائه لقومه فإنها تخدم سياق السورة التي وردت فيها هذه القصة أو ذاك النداء من حيث موضوعها ومحلها في الترتيب القرآني، أما ورودها هنا في سورة يونس فقد جاءت بصورة مجملة ؛ لأن الغرض منها هنا هو إبراز جانب التحدي من نوح لقومه، بعد أن مكث فيهم زمناً طويلاً، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة غيره ^(٥٣) ، وقد لاحظنا هنا أن قصة نوح عليه السلام خدمت السياق العام لسورة

يونس ، وهو نفي العجب ، وجدية الإنذار كجزء من معالجة الشك في القرآن الكريم ، بينما قصة نوح في سورة الأعراف خدمت سياق سورة الأعراف في قضية إنزال الهدى ، وموقف الناس منه ، وعاقبة ذلك ، وهكذا فإن تكرار النداء والقصص القرآني يخدم سياق السورة وموضوعها العام ومحورها في الترتيب القرآني الكريم^(٥٤).

ومن المعاني الجليلة التي اشتمل عليها نداء نوح عليه السلام لقومه: التوكل على الله في قوله تعالى : ﴿ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ ، والمتدبر لنداء نوح عليه السلام لقومه في هذه الآية يجد فيها كيف أن نوح عليه السلام قد وكل أمره إلى الله ، والتوكل على الله وحده هو من هدي الأنبياء (عليهم السلام) ، فهذا يوسف عليه السلام حين أُلقي في الجُب قال : حسبي الله ونعم الوكيل ، فعن ابن شاذب^(٥٥) ، قال: لما أُلقي يوسف في الجب قال: حسبي الله ونعم الوكيل ، وكان الماء آجناً فصفاً، وكان مالحاً فعذب^(٥٦) ، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : (حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾^(٥٧)^(٥٨) ، والتوكل لغة : "إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم التكلان"^(٥٩) ، واصطلاحاً : "هو الثقة بما عند الله ، واليأس عما في أيدي الناس"^(٦٠) ، فهو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كُلِّها، وكلُّهُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يُعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه^(٦١) ، وللتوكل على الله ثمرات كثيرة منها :

١. إن التوكل على الله سبب من أسباب تحقيق النصر على الأعداء قال تعالى : ﴿ إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٦٢) ، فقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي ليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه ، واعتقادهم أنه لا ناصر سواه ، ولأن إيمانهم يقتضي ذلك فجاء ذكر التوكل بعد النصر كعلامة على أن التوكل سبب من أسباب النصر^(٦٣).

٢. التوكل صفة أساسية من صفات المؤمنين، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(٦٤).

٣. توكل العبد على الله سبب لمحبة الله عز وجل له قال تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^(٦٥).

٤. بالتوكل على الله تعالى وبالإيمان به والعمل الصالح ينال العبد جنة رب العالمين ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَمَلِينَ﴾ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٦﴾ معنى هذا : إن من أبرز الصفات التي أهلتهم للجنة الصبر والتوكل ، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلی الله علیه و آله قال : (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون) (٦٧) .

٥. التوكل على الله سبب لكفاية العبد من الهم والحزن وغيرهما ، وتحقيق الأمور التي يسعى إليها ومن يتوكل على الله في أمر دينه ودنياه ، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك فهو حسبه أي: كافيهِ الأمر الذي توكل عليه به (٦٨) .

٦. ومما يدل على أهمية التوكل في حياة المسلم أن الله يصرف الشيطان عن المتوكلين عليه ، فقد قال الله تعالى في سورة النحل عن الشيطان: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٦٩) ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلی الله علیه و آله : (من قال - يعني - إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت، ووقيت، وتتحى عنه الشيطان) (٧٠) .

٧. إن التوكل على الله سبب لحصول الرزق ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلی الله علیه و آله : (لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً) (٧١) ، أي لو حصل منكم صحة التوحيد، الذي تقتضي تفويض الأمر إلى الله والثقة به في كل شؤونكم لرزقكم مثل هذه الطيور، ولكن الناس يعتمدون على قوتهم وحذرهم ، لذلك على العبد المؤمن أن يتوكل على الله وأن يفوض أموره كلها له فإن الله كافيهِ ، قال علي رضي الله عنه : يا أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به، فإنَّه يكفي ممن سواه (٧٢) .

المبحث الرابع

نداء نبي الله نوح عليه السلام لقومه لبيان إخلاصه في دعوته لله تعالى

يبيّن نوح عليه السلام لقومه إخلاصه في الدعوة إلى الله تعالى ، بأنه لا يبتغي المال على تبليغهم رسالة الله تعالى ، ودعوتهم إليه ، وإنما يبتغي بذلك الأجر والثواب من رب العالمين ، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴾ (٧٣) .

مناسبة الآية لما قبلها :

"لما ذكر تعالى عناد الكافرين من أهل مكة ، وتكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واتهامهم له بافتراء القرآن ، ذكر هنا قصة نوح عليه السلام مع قومه الكافرين لتكون كالعظة والعبرة لمن كذب وعاند ، وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم بسرد قصص المرسلين وما جرى لهم مع أقوامهم" (٧٤) .

معاني المفردات :

﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ : عن مجاهد (٧٥) قال أجري أي : جزائي (٧٦) .

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي : "بمبعدهم عني ومن حولي" (٧٧) .

﴿وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ قال ابن عباس: "تجهلون ربوبية ربكم وعظمته" (٧٨) .

القراءات القرآنية :

١. ﴿إِنْ أَجْرِي﴾ : "قرأ نافع (٧٩) وابن عامر (٨٠) وابو عمرو (٨١) وحفص (٨٢) بفتح الياء ، والباقون

بإسكانها يعنى ليس ثوابي إِلَّا عَلَى اللَّهِ بناء على وعده تفضلاً" (٨٣) .

٢. قال الزمخشري (٨٤) : قرئ ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالتثنية على الأصل فإن قلت: ما

معنى قوله : ﴿ إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ ﴾ ؟ الجواب: معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم ، أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت^(٨٥).

المعنى العام للآية :

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن نوح عليه السلام الذي قال لقومه لا أطلب منكم أجراً على إبلاغكم رسالة ربي ، إنما أجري إلا على الله هو الذي كلفني بالعمل بها والدعوة إليها ، وهو الذي أرجو الأجر منه ، وما أنا بمطيعكم في طرد المؤمنين من حولي كما اقترحت عليّ، إنهم ملاقوا ربهم، ومحاسبهم ومجازيهم على أعمالهم ، فكيف يصح مني إبعادهم عن سماع الحق وتعلمه والأخذ به ليكملوا ويسعدوا إذ العبرة بزكاة النفوس وطهارة الأرواح بواسطة الإيمان والعمل الصالح لا بالشرف والمال والجاه كما تتصورون ولذا فإنني أراكم قوماً تجهلون^(٨٦) .

التحليل :

يظهر من خلال هذه الآية الكريمة مدى إخلاص الأنبياء (عليهم السلام) في الدعوة إلى الله تعالى، وفي تبليغ الرسالة ، فقد كانوا يفصحون لأقوامهم بكل وضوح أن دعوتهم لم تكن من أجل طلب الدنيا أو طلب المال ، ولكن يرجون رضا الله تعالى والحصول على الأجر والثواب منه سبحانه وتعالى ، قال تعالى: ﴿ وَيَقَوْمٍ لَا اسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ مَا لَا ﴾ ويلاحظ هنا ورود كلمة (مَا لَا) في نداء نوح عليه السلام لقومه ، وفي نفس السورة وردت كلمة (أَجْرًا) في قصة هود عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَيَقَوْمٍ لَا اسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾^(٨٧) فلماذا قال هنا ما لا ولم يقل أجراً ؟ لأن في قصة نوح وقع بعدها (خزائن) قال تعالى : ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾^(٨٨) والمال يُوضع في الخزائن فاقتضى ذكر كلمة (مَا لَا) ولفظ المال بالخزائن أليق^(٨٩) ، وقوله: ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ جواب لهم حين سالوا طردهم ليؤمنوا به ، لأنهم يأنفون من المجالسة معهم ، فكيف أطردهم؟ ويوم القيامة سيخاصمون طاردهم عند الله تعالى ، أو أنهم يلاقونه ويفوزون بقربه ، فكيف أطرد أولياء الله ومقربيه؟ وكأنه قال هذا على وجه الإعظام لهم ، ويحتمل أنه قاله خوفاً من مخاصمتهم له عند ربهم بسبب طرده لهم، ثم بين لهم ما هم عليه في هذه

المطالب التي طلبوها منه والعلل التي اعتلوا بها عن إجابته فقال : ﴿ وَلَكِنِّي أَرْكُبُ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴾ ، فقله ﴿ يَجْهَلُونَ ﴾ جاء بصيغة الفعل المضارع التي تدل على التكرار والتجدد ، ولهذا لم يقل : ولكني أركم قوماً جاهلين ، والمتدبر في نداء نوح ﷺ لقومه ، ومدى إعراض قومه عنه ، وعدم إستجابتهم له ، يدل على أنهم يجهلون أموراً كثيرة منها: يجهلون قدرة الله على الوحي لبشرٍ مثلهم ، ويجهلون وظيفتهم في الحياة الدنيا وأنهم ممتحنون فيها ، ويجهلون أن الرسول مكلف مثلهم ، ومطالب بالإيمان ، والعمل الصالح ، كما هم مطالبون به ، وأن وظيفته إنما هي تبليغ الرسالة عن ربه عز وجل ، ويجهلون أن هؤلاء الذين يرونهم سفهاء وأراذل القوم ، هم مثلهم في الإنسانية ، إذ إن المال والمنصب والجاه لا يعتبر مقياساً لرفعة صاحبه بين قومه ، وعند الله تعالى وقد أشار إلى ذلك الرسول محمد ﷺ حينما قال : (يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر؛ إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: فليبلغ الشاهد الغائب)(٩٠) وبهذا قرر الرسول ﷺ أن التقوى هي المعيار في التفاضل بين الناس وعند الله تعالى(٩١) .

المبحث الخامس

نداء نبي الله نوح ﷺ ابنه ليركب في السفينة ولا يكن مع الكافرين

نادى نوح ﷺ ابنه ليركب في السفينة مع المؤمنين، في لحظة كان الموج فيها كالجبال ، كي لا يهلك مع الكافرين ، مما يظهر حرصه ﷺ على هداية ابنه ، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ يَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٩٢).

مناسبة الآية لما قبلها :

بعد أن أمر نوح ﷺ أهله والمؤمنين بركوب السفينة قائلين: بسم الله ، أعقبه سبحانه وتعالى بتصوير رائع لسير السفينة وسط المياه ذات الأمواج العظيمة، بسبب الرياح الشديدة

العاصفة، ويقصد بيان شدة الهول والفزع ، فكانت النتيجة أن أنجى الله المؤمنين في سفينة تجري على موج كالجبال ، وأهلك الكافرين في الماء لعدم إيمانهم بالله تعالى^(٩٣) .

معاني المفردات :

﴿مَوْجٌ كَالْجِبَالِ﴾ : كالجبال في الارتفاع والعظم ، والموج (م وج) ماج البحر موجاً اضطرب ، والموجة أخص من الموج ، وجمع الواحدة على لفظها موجات ، وجمع الموج أمواج مثل ثوب وأثواب ، وتموج اشتد هياجه واضطرابه ومنه قيل: ماج الناس إذا اختلفت أمورهم واضطربت^(٩٤) .

﴿وَكَاَنَ فِي مَعَزِلٍ﴾ : في معزل عن السفينة ، (عَزَلَ) العين والزاء واللام أصل صحيح يدل على تنحية وإمالة يقال: عزل الإنسان الشيء يعزله ، إذا نحاه في جانب وهو بمعزل وفي معزل من أصحابه ، أي في ناحية عنهم^(٩٥) .

القراءات القرآنية :

﴿يَبْنِي﴾ :قرأ عاصم^(٩٦) وحده ﴿يَا بُنْيَ﴾ بنصب الياء أراد يا بنياء ، وقرأ الباقون ﴿يَا بُنْيَ﴾ بكسر الياء أرادوا يابني بالاضافة إلى النفس فسقطت الياء اجتزاء بالكسرة كما يقال : يا رَبِّ اغفر لي ، ويا غلام تعال^(٩٧) .

﴿أَرْكَبَ مَعَنَا﴾ : قرأ أبو عمرو والكسائي وحفص بإدغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وإنما أطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللإيذان بضيق المقام ، وقرأ حمزة^(٩٨) وحده مظهراً لا مدغماً^(٩٩) .

بيان البلاغة :

١. ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ : [جملة معترضة دعا إلى اعتراضها هنا ذكر مجراها إتماماً للفائدة وصفاً لعظم اليوم ، وعجيب صنع الله تعالى في تيسير نجاتهم ، وقدم المسند إليه على الخبر الفعلي لتقوي الحكم وتحقيقه ، وعدل عن الفعل الماضي إلى المضارع لاستحضار الحالة مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾^(١٠٠) [١٠١] .

٢. في موضع آخر شبه الله تعالى السفن بالجبال في قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ الْجَوَارِ الْمُشَآتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴾ (١٠٢) والوجه هنا ليس مجرد الضخامة بل هو ملاحظة الاستقرار مع كونها تجري في البحر لا تضطرب ولا تميد مبدأ يؤدي بها إلى الهلاك ، وجاء هنا الأعلام مكان الجبال لأن العلم هو الجبل الطويل لا مطلق جبل ولا شك أن السفن أكثر شموخاً من الموج ، وهذا ملحظ دقيق لاستعمال أحد المترادفين فيما هو به أولى لم يُعرف ذلك على دقته وروعته في غير القرآن (١٠٣) .

﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ : "عطفت جملة ﴿ وَنَادَى ﴾ على ألق الجمل بها اتصالاً وهي : ﴿ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا ﴾ (١٠٤) لأن ندائه لابنه كان قبل جريان السفينة في موج كالجبال ، إذ يتعذر إيقافها بعد جريها لأن الراكبين كلهم كانوا مستقرين في جوف السفينة" (١٠٥) .

التحليل :

قال تعالى : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَى أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ : تجري بهم السفينة في موج كالجبال ، والقارئ يرى في هذا صوراً تنير الخيال، وتجعل الخبر مرئياً أو كالمرئي، وإنَّ ذِكْرَ الموج في هذا المقام يصور كيف كان السيل عارماً، حتى لم يبق إلا من خرج بالسفينة نجياً ، والقرآن حين يشبه محسوساً بمحسوس يرمي أحياناً إلى رسم الصورة كما تحس بها النفس، تجد ذلك في قوله سبحانه يصف سفينة نوح عليها السلام : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ ألا ترى الجبال تصور للعين هذه الأمواج الضخمة، وتصور في الوقت نفسه، ما كان يحس به ركاب هذه السفينة وهم يشاهدون هذه الأمواج، من رهبة وجلال معاً، كما يحس بهما من يقف أمام شامخ الجبال ، ثم يجد المتأمل في ذلك القصص أمراً معنوياً مصوراً كأنه ملموس، وهو حنان الأب ورفقه بولده، حيث شوهدت عاطفة الأبوة تلو فينادي ابنه، وكأن النداء يُسمع في مشهدٍ من مشاهد الأبوة الذي يشعر المرء بحرارة عاطفة الأب على ابنه ، ثم يرى الابن وقد غرَّه الغرور والابتعاد عن التصديق، حتى حسب أنه بمنجاة من الغرق إذا اعتصم بجبل آوى إليه، إلا أن الموج حال بينه وبين أبيه ، فكان من المغرقين (١٠٦) ، وفي هذا المشهد العظيم فوائد كثيرة منها :

١. إن جريان السفينة في موج كالجبال يدل على عظمة قدرة الله عز وجل في حفظ عباده المؤمنين ونصرهم على أعدائهم (١٠٧) .

٢. جنود الله كثيرة ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴾ (١٠٨) وكان الماء والموج في هذه الآية من جنود الله ، حيث أن هذا الموج المرتفع كالجبال لم يحطم السفينة ولم يغرق المؤمنين ، بل أغرق الكافرين المعاندين (١٠٩) .

٣. إن عدم الإيمان بالله تعالى ، وعدم الاستجابة لأمر الله ورسوله ، هو سبب هلاك الكافرين والمعاندين ، حتى لو لجأ هذا الكافر أو هذا المعاند إلى جبلٍ شامخٍ فلن ينجيه ذلك لأنه لا عاصم من أمر الله إلا من رحم ، ولا ملجأ من الله إلا إليه.

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، أحمده أولاً وأخيراً أن أعانني ويسر لي إتمام هذه البحث ، والوصول إلى خاتمته والتي تضمنت جملة من النتائج والتوصيات هي:

أولاً : النتائج

١. اشتملت آيات نداء نبي الله نوح قومه على ترسيخ العقيدة في النفوس ، والرد على ضلالات الكافرين وتصحيح تصوراتهم الخاطئة ، فإن دعوة الأنبياء لأقوامهم بدأت بدعوتهم إلى التوحيد وعدم الشرك بالله تعالى ، فأصل الدين واحد مع اختلاف شرائع الأنبياء .
٢. إخلاص الأنبياء (عليهم السلام) في الدعوة إلى الله تعالى ، وحرصهم على هداية أقوامهم وإنقاذهم من النار ، فوظيفتهم تبليغ الرسالة والإنذار ومحاجة الكفار بالبراهين والأدلة الموصلة لليقين ، وأما الهداية فهي بيد الله تعالى .
٣. أظهرت آيات نداء نبي الله نوح قومه حسن أخلاق الأنبياء ، وأدبهم في دعوة أقوامهم ، وصبرهم في تحمل الأذى ، مما فيه تسلية للدعاة ، وفي هذا تأكيد على وجوب الصبر على الدعوة ، وتحمل جميع المصاعب التي تعترض طريق الداعي إلى الله تعالى .
٤. التأكيد على طاعة الأنبياء (عليهم السلام)، فهم يبلغون عن الله تعالى ، والتحذير من معصيتهم فطاعتهم هي طاعة لله ، ومعصيتهم هي معصية لله تعالى .

ثانياً : التوصيات

في ضوء هذه الدراسة والنتائج التي تم التوصل إليها يوصي الباحث الدعاة وطلبة العلم بإخلاص النية لله تعالى في طلب العلم والتعليم ، وبمزيد العناية بالمواضيع التي تتعلق بالقرآن

الكريم ، فهو نبع فياض لا ينقطع على من ورده ، والغوص في أعماق معاني الآيات القرآنية واستنباط الدروس والعبر منها، وربط ذلك بالواقع المعاصر مما يسهم في حل المشاكل التي يعاني منها المجتمع الإسلامي ، كما أوصي بالتخلق بأخلاق الأنبياء عند الدعوة إلى الإسلام ، وعند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١) سورة الأعراف : الآية (٥٩) .

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) ، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (د.ر.) ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م: ٨١/٥ .
(٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي ، (ت: ٧٤١هـ) ، تحقيق محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م : ٢ / ٢١٤ ، ومحاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م : ٥ / ١٠٩ .

(٤) ينظر : تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (ت: ٣٧٠هـ) ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م : ٢ / ١٣٨ .
(٥) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م : ٢ / ٢٤٦-٢٤٧ .

(٦) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي بالولاء المدني ، أحد القراء العشرة ، من التابعين ، وكان إمام أهل المدينة في القراءة ، وكان من المفتين المجتهدين ، توفي في المدينة (١٣٠هـ) وفي سنة وفاته خلاف ، ينظر : الأعلام للزركلي : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م : ٨ / ١٨٦ .

(٧) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي الكوفي ، كان إمام الناس في القراءة في زمانه ، وأعلمهم بالقراءات والنحو ولغة العرب ، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة أربع مرات ، وكان أشهر من روى عنه القراءة الليث وحفص الدوري ، ولد في حدود سنة (١٢٠هـ) وتوفي سنة (١٨٩هـ) ، ينظر : الثقات ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد التميمي (ت: ٣٥٤هـ) ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م : ٨ / ٤٥٧-٤٥٨ ، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م : ١ / ١٢٠-١٢٨ .

(٨) ينظر: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م : ٢ / ١١٣ ،

- والنشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الجزري أبي الخير (ت: ٨٣٣هـ)، قدّم له محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م : ٢٧٠/٢ .
- (٩) ينظر: التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي الشهير بابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د.ر)، ١٩٩٧م : ١٨٨/٨ .
- (١٠) ينظر: تفسير المراعي : ١٨٩/٨ .
- (١١) سورة لقمان : الآية (٢٥) .
- (١٢) سورة الزمر : الآية (٣) .
- (١٣) سورة ص : الآية (٥) .
- (١٤) سورة الزمر : الآية (٦٥) .
- (١٥) ينظر: معارج التفكير ودفائق التدبر، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م : ٤ / ٣١٩ .
- (١٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٤٣١/٣ .
- (١٧) ينظر: العبودية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م : ٤٤ .
- (١٨) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس السدوسي البصري، ولد أكمه سنة (٦١هـ)، كان من علماء الناس في القرآن والفقه ومن حفاظ اهل زمانه، قال عن نفسه ما قلت لمحدث قط أعد علي، وقد اشتهر بالإضافة إلى علمه بتفسير القرآن الكريم، توفي سنة (١١٧هـ) على الصحيح المشهور، ينظر: تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م : ٣٥١/٨ .
- (١٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ٦٣٠/٢٣ .
- (٢٠) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، أبو بكر محمد بن بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق محمد المعتمد بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م : ٩٥-٩٦ .
- (٢١) ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، رقم الحديث (٧٣٧٣) : ١١٤/٩، والمسند الصحيح المختصر ينقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ الشهير بصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ر)، (د.س)، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، رقم الحديث (٣٠) : ٥٩/١ .

- (٢٢) هو عتيان بن مالك بن عمرو بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري الخزرجي السالمي ، بدري عند الجمهور ، وحديثه في الصحيحين ، من طريق أنس ، ومحمود بن الربيع ، وغيرهما عنه ، كان إمام قومه بني سالم ، أخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عمر بن الخطاب ، مات في خلافة معاوية وقد كبر وذهب بصره ، ينظر : الطبقات الكبرى ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء ، البصري ، البغدادي الشهير بابن سعد (ت : ٢٣٠ هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م : ٣ / ٤١٥ - ٤١٦ ، والإصابة في تمييز الصحابة : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢ هـ) ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م : ٤ / ٣٥٨ - ٣٥٩ .
- (٢٣) ينظر : صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب المساجد بيوت الله ، رقم الحديث (٤٢٥) : ٩٢ / ١ ، وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر ، رقم الحديث (٣٣) : ٤٥٥ / ١ .
- (٢٤) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده ، رقم الحديث (٣٥٤٠) : ٥ / ٥٤٨ ، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .
- (٢٥) ينظر : في ظلال القرآن : ٦ / ٣٧١١ .
- (٢٦) سورة الأعراف : الآية (٦١) .
- (٢٧) السورة نفسها : الآية (٦٠) .
- (٢٨) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت : ٨٨٥ هـ) ، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ر) ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م : ٣ / ٤٨ - ٤٩ .
- (٢٩) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١ هـ) ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م : ٧ / ٢٣٤ ، ولسان العرب : ١١ / ٣٩٠ .
- (٣٠) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٤٣٢ .
- (٣١) وهو أحد أنواع المجاز اللغوي ، وهو نقل الألفاظ من حقيقتها اللغوية إلى معان أخرى لصلة غير المشابهة ، ينظر : المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ، إنعام فؤاد عكاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م : ٦٣٩ .
- (٣٢) ينظر : الجدول في إعراب القرآن الكريم ، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت : ١٣٧٦ هـ) ، دار الرشيد ، دمشق ، ومؤسسة الإيمان ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م : ٨ / ٤٤٥ .
- (٣٣) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ١٢ / ٥٠٠ .
- (٣٤) سورة الكهف : الآية (٦) .
- (٣٥) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات ، هل يصلى عليه ، وهل يعرض على الصبي الإسلام ، رقم الحديث (١٣٥٦) : ٢ / ٩٤ .

(٣٦) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الشهير بالسمن الحلي (ت: ٧٥٦هـ) ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق ، (د.ر.)، (د.س) : ٥ / ٣٥٥ ، ومعارج التفكير ودقائق التدبر: ٣٢٣/٤-٣٢٤ ، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجزي الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ) ، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الناشر الدكتور حسن عباس زكي ، القاهرة ، مصر ، (د.ر) ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م : ٢/٢٢٨ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م : ٢٩٢/١ .

(٣٧) سورة يونس : الآية (٧١) .

(٣٨) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل : ٤٥٤/٢ .

(٣٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٢٨٣/٤ ، ومعجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، اتحاد الكتاب العرب ، (د.ر) ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م : ٣٠٨/٥ .

(٤٠) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٨٠١/٣ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ١٦٤/٤ .

(٤١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة : ١٦٤٤/٢ ، والتفسير الواضح ، محمد محمود حجازي (ت: ١٤٣١هـ) ، دار الجيل الجديد ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م : ٧٩/٢ .

(٤٢) هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري المعروف برويس ، مقرئ حاذق ضابط مشهور ، أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي، قال الداني وهو من أحقق أصحابه ، روى القراءة عنه عرضاً محمد بن هارون التمار ، والإمام أبو عبد الله الزبير بن أحمد الزبيري الشافعي، توفي بالبصرة سنة (٢٣٨هـ)، ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ) ، مكتبة ابن تيمية، (د.ر) ، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م : ٢٣٤/٢-٢٣٥ .

(٤٣) ينظر: البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: ١٤٠٣هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ، (د.ر) ، (د.س) : ١٤٩/١-١٥٠ ، والأساس في التفسير ، سعيد حوى (ت: ١٤٠٩هـ)، دار السلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م : ١٩٣/١٠ .

(٤٤) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري : أحد القراء العشرة ، مولده ووفاته بالبصرة ، كان إمامها ومقرئها، وهو من بيت علم بالعربية والأدب، وله كتب، منها (الجامع) قال الزبيدي: جمع فيه عامة اختلاف وجوه القرآن، ونسب كل حرف إلى من قرأه، ومن كتبه (وجوه القراءات) ، توفي سنة (٢٠٥هـ) ، ينظر: طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن منحة الزبيدي الأندلسي الإشبيلي (ت: ٣٧٩هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م : ٥١ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ٣٨٦/٢ ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف ، (ت: ٨٧٤هـ) ، وزارة الأوقاف والإرشاد القومي، مصر، (د.ر.)، (د.س): ١٧٩/٢ ، والأعلام للزركلي : ١٩٥/٨ .

(٤٥) ينظر: التحرير والتنوير : ٢٣٩/١١ ، والبذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة : ١٥٠/١ .

(٤٦) "وهي كناية تتوسط بين التلويح والرمز بقلة الوسائط فيها وبوضوح نسبي في العلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى المراد وتتميز بأنها قليلة الوسائط ، فتدل على المعنى المراد دلالة مباشرة كأنها تومئ إليه" ، ينظر: علوم البلاغة (البدیع والبيان والمعاني) ، محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م : ٢٥٠ .

(٤٧) وهي التي لم يصرح فيها باللفظ المستعار، وإنما ذكر فيها شيء من صفاته أو خصائصه أو لوازمه القريبة أو البعيدة، كناية به عن اللفظ المستعار، كأن يقال: وقف صاحب الزئير ، والمقصود به (الأسد) ونحن باستعمال هذه العبارات نكني عن اللفظ المستعار، وهو الأسد ، وأصل هذا المجاز تشبيه حذف كل أركانه باستثناء بعض صفات المشبه به، فهو استعارة مكنية ، ينظر : البلاغة العربية ، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني دمشقي (ت: ١٤٢٥هـ) دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م : ٢٤٣/٢ .

(٤٨) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم : ١٧٢/١١ .

(٤٩) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار الصابوني ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م : ٥٥٤/١ .

(٥٠) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي (ت: ١٤٣١هـ) ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م : ١٠٣/٧ - ١٠٤ .

(٥١) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.ر) ، (د.س) : ٣٧٦/١١ .

(٥٢) الآيات : (٥٩-٦١) .

(٥٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ١٠٣/٧ .

(٥٤) ينظر: الأساس في التفسير : ٢٤٩٣-٢٤٩٤ .

(٥٥) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن شاذب الخراساني ، البلخي ، سكن البصرة ، ثم سكن الشام ببيت المقدس ، عن أحمد بن حنبل: ابن شاذب، من أهل بلخ، نزل البصرة وسمع بها الحديث، وتفقه وكتب، ثم انتقل إلى الشام، فأقام بها، وكان من الثقات ، روى عن: إياس بن معاوية بن قرة المزني ، وثابت البناني وغيرهم ، وروى عنه : إبراهيم بن أدهم، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري، وأيوب بن سويد الرملي وغيرهم ، توفي سنة (١٥٦هـ) أو (١٥٧هـ) ، ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني (ت: ٧٤٢هـ) ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م : ٩٤-٩٧ .

(٥٦) التوكل على الله ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ) ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م : ٦٠ .

(٥٧) سورة آل عمران : الآية (١٧٣) .

(٥٨) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، رقم الحديث (٤٥٦٣) : ٣٩/٦ .

(٥٩) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ١٨٤٥/٥ .

(٦٠) التعريفات للجرجاني : ٧٠ .

(٦١) ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ) ، تحقيق محمد الأحمد بن أبي النور ، دار السلام ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م : ٣/ ١٢٦٦ .

(٦٢) سورة آل عمران : الآية (١٦٠) .

(٦٣) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل الشهير بتفسير النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ) ، تحقيق يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م : ٣٠٧/١ .

(٦٤) سورة الأنفال : الآية (٢) .

(٦٥) سورة آل عمران : الآية (١٥٩) .

(٦٦) سورة العنكبوت : الآيات (٥٨-٥٩) .

(٦٧) ينظر: صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، رقم الحديث (٦٤٧٢) : ١٠٠/٨ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، رقم الحديث (٢١٨) : ١٩٨/١ .

(٦٨) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٨٦٩/١ .

(٦٩) سورة النحل : الآية (٥٩) .

(٧٠) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا خرج من بيته ، رقم الحديث (٣٤٢٦) : ٤٩٠/٥ ، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٧١) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب التوكل على الله ، رقم الحديث (٢٣٤٤) : ٥٧٣/٤ ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

(٧٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٢٩/١٩ .

(٧٣) سورة هود : الآية (٢٩) .

(٧٤) صفوة التفاسير : ١٠/٢ .

(٧٥) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي ، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، روى عن: ابن عباس فأكثر وأطاب ، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه ، وروى عنه أنه قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وفي رواية أخرى عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، ألقاه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت ، اختلف في تحديد سنة وفاته ما بين (١٠٠ هـ - ١٠٨ هـ) ، ينظر : سير الاعلام النبلاء : ٤٤٩-٤٥٧ .

(٧٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ٣٠١/١٥ .

(٧٧) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م : ٥٣٨/٢ .

(٧٨) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م : ٥٧١/٢ .

(٧٩) هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولا هم المدني ولد في حدود سنة (٧٠هـ) وأصله من اصبهان ، انتهت اليه رئاسة الاقراء بالمدينة وأجمع الناس عليه بعد التابعين ، توفي سنة (١٦٩هـ) ، ينظر: الثقات لابن حبان : ٥٣٢-٥٣٣ ، وغاية النهاية في طبقات القراء : ٣٣٠-٣٣٤ .

(٨٠) هو أبو عمران عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي ، إمام كبير وتابعي جليل جُمع له بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء في دمشق ، قال خالد بن يزيد المري: سمعت عبد الله بن عامر يقول: قبض رسول الله (ﷺ) ولي سنتان ، وقيل ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة ، وتلقى القراءة عن أبي الدرداء ؓ عن النبي ﷺ ، وعن المغيرة بن أبي شهاب عن عثمان ؓ عن النبي ﷺ ، أشهر من روى عنه القراءة هشام وابن ذكوان ، وتوفي ابن عامر سنة (١١٨هـ) ، ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : ٤٦/١-٤٩ .

(٨١) هو أبو عمرو زيان بن عمار التميمي المازني البصري ، ويلقب أبوه بالعلاء من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة ، ولد بمكة عام (٧٠هـ-٦٩٠م) ، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة عام (١٥٤هـ-٧٧١م) ، كان أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر، ينظر: الأعلام للزركلي : ٤١/٣ .

(٨٢) هو أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة الاسدي بالولاء ، ويعرف بحفيص ولد سنة ٩٠هـ ، قارئ أهل الكوفة ، بزاز، نزل بغداد، وجاور بمكة ، وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته، توفي سنة (١٨٠هـ) ينظر: النشر في القراءات العشر : ١/ ١٥٦ ، وغاية النهاية في طبقات القراء : ٤٢٣-٤٢٥ .

(٨٣) التفسير المظهري ، محمد ثناء الله المظهري ، تحقيق غلام نبي التونسي ، مكتبة الرشدية ، باكستان ،(د.ر) ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م . : ٨١/٥ .

(٨٤) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي ،النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر، يلقب جار الله، لأنه جاور بمكة زماناً ، ولد في رجب سنة (٤٦٤هـ) بزمخشر، قرية من قرى خوارم، وقدم بغداد وسمع من أبي الخطاب بن البطر وغيره ، كان إمام عصره وكان متظاهراً بالاعتزال داعية إليه ، مات ليلة عرفة سنة (٥٣هـ) ، ينظر: طبقات المفسرين العشرين ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ-١٩٠٨م : ١٢٠-١٢١ .

(٨٥) ينظر: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٣٩٠/٢ .

(٨٦) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : ٥٣٨-٥٣٩ .

(٨٧) سورة هود : الآية (٥١) .

(٨٨) السورة نفسها : الآية (٣١) .

(٨٩) ينظر: أسرار التكرار في القرآن ، محمود بن حمزة بن نصر الكرمانلي ، تحقيق عبد القادر احمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م : ١٠٧ .

(٩٠) ينظر: صحيح الترغيب والترهيب ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م : ٣/ ١٣٥ ، وقال الألباني صحيح لغيره ،

- (٩١) ينظر: التفسير المظهرى : ٨١/٥ ، وفتح القدير : ٥٦١/٢ ، ومعارج التفكير ودقائق التدبر : ٣٧١/١٠ - ٣٧٢ .
- (٩٢) سورة هود : الآية (٤٢) .
- (٩٣) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج ، وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م : ٧٤/١٢ - ٧٥ .
- (٩٤) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ٥٨٨/٢ ، وتفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، (د.ر) ، (د.س) : ٢٩٠ .
- (٩٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة : ٣٠٧/٤ ، وتفسير الجلالين: ٢٩٠ .
- (٩٦) هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الاسدي مولا هم الكوفي ، تابعي من علماء الطبقة الثالثة ، انتهت اليه رئاسة الإقراء بعد عبدالرحمن السلمي ، إذ أخذ القراءة عرضاً عنه وعن زر بن حبيش وأبي عمرو الشيباني ، جمع بين الاتقان والفصاحة والتجويد وحسن الصوت ، مات سنة (١٢٧هـ) ، ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، ٥١/١ - ٥٤ ، وغاية النهاية في طبقات القراء : ٣٤٦/١ - ٣٤٩ .
- (٩٧) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها ، أبو عبدالله الحسين بن احمد بن خالويه الهمداني النحوي الشافعي (ت: ٣٧٠هـ) ، حققه عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م : ٢٨٢/١ .
- (٩٨) هو أبو عمار حمزة بن حبيب بن عمار بن اسماعيل الكوفي الزيات ولد سنة ٨٠هـ وكان امام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والاعمش وكان ثقة كبيراً مجوداً فرضياً نحوياً حافظاً للحديث ورعاً زاهداً مات سنة (١٥٦هـ) ، ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء : ٢٦١/١ - ٢٦٣ .
- (٩٩) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها : ٢٨٢/١ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٢١٠/٤ .
- (١٠٠) سورة فاطر : الآية (٩) .
- (١٠١) ينظر: التحرير والتنوير : ٧٤/١٢ .
- (١٠٢) سورة الرحمن : الآية (٢٤) .
- (١٠٣) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ) ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م : ٢٦٣/٢ .
- (١٠٤) سورة هود : الآية (٤١) .
- (١٠٥) التحرير والتنوير : ٧٥/١٢ .
- (١٠٦) ينظر: من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد عبد الله الببلي البديوي (ت: ١٣٨٤هـ) ، نهضة مصر ، القاهرة ، (د.ر) ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م : ١٤٩ . والمعجزة الكبرى القرآن ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد الشهير بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي ، (د.ر) ، (د.س) : ١٥٤ .
- (١٠٧) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج : ٧٨/١٢ .
- (١٠٨) سورة المدثر : الآية (٣١) .
- (١٠٩) ينظر: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والعشرين من القرآن الكريم ، سعيد طه خضر ، رسالة ماجستير ، بإشراف الدكتور زهدي محمد ، الجامعة الإسلامية غزة ، كلية أصول الدين ، قسم التفسير

The Appeal's Verses of God's prophet Noah to his people /an Analytical Study

Dr. Bashar Shaalan Omar

Saad Farman Mahmood

Abstract

This paper deals with the appeal's verses of God's Prophet Noah to his people in an analytical method. The study was confined to the letter (Ya). The subject of this research is of a great significance since it examines one aspect of the aspects which are addressed by the holy Qur'an. The study includes introduction and five sections. The introduction includes the significance of the subject, the reason for choosing the subject, study methodology and study division. The first section is devoted to Noah's appeal (Peace up on him) to his people to worship God alone. The second section involves Noah's appeal (Peace up on him) to his people to deny misguidance as far as he is concerned. The third section includes Noah's appeal (Peace up on him) to his people to show his trust in Allah and his challenge to his people. The fourth section tackles Noah's appeal (Peace up on him) to his people to show his devotion in his call to God. The fifth section deals with Noah's appeal (Peace up on him) to his son to ride on the boat and do not be with the unbelievers.

The thesis was ended with the most important conclusions and recommendations that the researcher has reached to, the results included the resolution of the verses of prophets calls to their people to establish the belief inside the people souls and the faithfulness of the prophets in their call to Allah and their care to direct their people to the strait path, besides, it unveiled the good morality of the prophets, their politeness during calling their people, Recommendations included recommendation to adhere to Allah's rules, to make prophets models of morality and behavior, faithfulness in learning and teaching, give more attention and care to the topics related to the holy Quran and to connect them with the contemporary fact, that contributes in solving the problems that the Islamic community suffering from.